

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي

الدكتور عبدالله عبد المحسن السلطان



## البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي

### مقدمة :

تضفي الأهمية الاستراتيجية لموقع البحر الأحمر « الجيوبوليتيكي » نوعاً من التعقيد على العلاقات الإقليمية والدولية . والمميزات الرئيسية للبحر الأحمر كنظام فرعي إقليمي وأهميته الاقتصادية والاستراتيجية تنبع أساساً من موقعه الفريد .

فالبحر الأحمر يقع عند نقطة التقاء قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا ، ويصل كجسر طواف بين بحار الشرق والغرب المفتوحة — البحر العربي والمحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط والمحيط الاطلنطي والخليج العربي — عن طريق مضيق باب المندب وقناة السويس . فهو نقطة وصل استراتيجية مهمة لهذه الممرات المائية بين الشرق والغرب . وكأحد الطرق البحرية العالمية فهو يوفر لقوى إقليمية ودولية إمكانية الوصول إلى هذه الممرات .

ويقع البحر الأحمر في نطاق القرن الأفريقي غير المستقر والبحر الأبيض المتوسط وجنوب آسيا والمحيط الهندي بما فيه البحر العربي والخليج . وأهم من ذلك يقع بين مناطق إنتاج النفط ومناطق استهلاكه في أمريكا وغرب أوروبا . لهذا فعلاقة البحر الأحمر بالخليج العربي علاقة وثيقة ومتداخلة من النواحي التاريخية والاقتصادية والاستراتيجية ، وكل منهما يؤثر في الآخر ، وخير مثل لهذه العلاقة هو وصول آثار الحرب العراقية — الإيرانية على الخليج ( اندلعت في سبتمبر ١٩٨٠ م ) إلى البحر الأحمر . فبعد توقف الميناء العراقي في البصرة على الخليج حظي ميناء العقبة الأردني بأهمية كبيرة بالنسبة للتجارة الداخلية والخارجة للعراق ، وستستمر الحال هكذا حتى التوصل إلى تسوية لهذه الحرب — فالعراق تلقى ويتلقى معظم الأسلحة عبر ميناء العقبة الأردني على البحر الأحمر .

والنفط الذي يضفي أهمية استراتيجية للخليج هو الذي يضفي أيضاً أهمية استراتيجية للبحر الأحمر كممر للنفط . كل الحركة التجارية المتجهة من الخليج لأوروبا في الشمال تمر عبر البحر الأحمر . لذلك فأية دولة تصبح قوية في المنطقة يصبح بإمكانها التأثير على التحركات المختلفة في الخليج والبحر الأحمر .

لذا فمن الناحية الجيوبوليتيكية ( والأمنية ) فالخليج والبحر الأحمر هما وحدة استراتيجية متكاملة .

ولقد زادت أهمية البحر الأحمر بعد أن أصبح في عام ١٨٦٩ م امتدادا طبيعيا لقناة السويس وكذلك بعد اكتشاف النفط في الخليج الذي أحدث انقلاب ثوري في الوظائف الإقليمية والدولية التي كان يؤديها . ومنذ الحرب العالمية الثانية إلى تاريخه اجتذبت منطقة البحر الأحمر إهتمام العالم بسبب أهميتها السياسية والعسكرية والاقتصادية . ومن قبل كان البحر طوال التاريخ مهما كطريق للتجارة والاتصال الخارجي .

١ — من الناحية السياسية فقد أصبح البحر الأحمر منذ حرب ١٩٧٣ م قضية أمن حيوية تهم الدول المطلة عليه وكذلك أصبح ساحة لتنافساتها بقصد السيطرة عليه — وزاد مع ذلك تدريجيا تصارع وتدخل الدولتين الأعظمين ( الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي ) ، لذا فقد أصبح البحر الأحمر عاملا يسهم في التطورات السياسية والعسكرية في المنطقة كلها — والصراعات الإقليمية تتطور إلى استقطاب دولي يصل إلى مستوى الصراع بين الدولتين الأعظم .

٢ — ومن الناحية العسكرية فقد أصبح البحر الأحمر المدخل المفضي للملاحة العسكرية في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الاطلنطي والمحيط الهندي وما يجاوره من مناطق مثل القرن الافريقي والخليج العربي — وإلى هذه المناطق تنقل الدولتان الأعظم أساطيلها موفرة بذلك الوقت والنفقات ، وذلك لموقع البحر الأحمر في المركز الاستراتيجي للعالم . وحيوية هذا الموقع البحري للقوى العسكرية ، وفي مقدمتها الدولتان الأعظم ، هو لكونه يقع بين هذه القوى وقواعدها في مختلف أجزاء العالم . ثم أن البحر الأحمر تحيط به قوى إقليمية بقواتها العسكرية وعداواتها المتبادلة — من هذا يستدل على أهمية البحر الأحمر للصراعات الإقليمية والدولية .

٣ — من الناحية الاقتصادية فلقد ربط البحر الأحمر الشعوب التي تعيش على شاطئيه تجاريا حيث هو المنفذ لمعظم دوله عبر التاريخ . وتأتي أهمية البحر الأحمر من مختلف النواحي لموقعه الجغرافي القومي وسط الوطن العربي — وهذا يجعل الدول العربية أكثر حساسية للسيطرة عليه لارتباطه بأمنها . ويمر من خلاله أهم سلعة استراتيجية ( النفط العربي ) منذ الثلاثينات — فهو خط الحياة لنفط الخليج إذ يمد أوروبا بحوالي ٦٠٪ من احتياجاتها . واكتشاف النفط في المنطقة العربية وتعميق قناة السويس وتوسيعها ( في السبعينيات ) لكي تستوعب ناقلات النفط الضخمة غير شخصية البحر الأحمر وأصبح شريان حياة نقل .

بالإضافة إلى ذلك فالبحر الأحمر أصبح العمود الفقري لمنتجات الغرب الصناعية التي تمر من خلاله إلى دول « العالم الثالث » . والبحر الأحمر أيضا يشتمل على ثروات معدنية مختلفة وبكميات

تجارية يمكن ان تشكل مصدرا جديدا للصراع في المنطقة . بجانب ذلك فالبحر الأحمر قريب من المواد الأولية بافريقيا وآسيا التي تأخذ طريقها إلى العالم الصناعي . إذاً فالبحر الأحمر خط رئيسي للتجارة العالمية

لهذه المزايا التي يختص بها البحر الأحمر فقد نشأت صراعات في المنطقة أكثر مما نشأ في أي ممر مائي آخر . هذه الصراعات ترمي إلى تحقيق أهداف اقتصادية وعقائدية وسياسية وعسكرية واستراتيجية عن طريق السيطرة والتأثير على البحر الأحمر ، وبنفس الوقت تخدم كدليل واضح على قساماته الخاصة والمميزة له عن غيره والتي جعلت منه مصدراً وساحة للصراعات المختلفة كاحد أهم المناطق الأكثر حساسية في العالم .

فمن الناحية الجيوبوليتيكية فإن البحر الأحمر يرتبط ، بحكم موقعه الاستراتيجي ، بمناطق مختلفة وبمصالح إقليمية ودولية مختلفة مما جعل الصراعات البارزة والمختلفة في الدرجة وتوقيت الحدوث ( لافي التنوع ) تتواتر عليه . لذلك فقد ارتبط أمن كثير من الدول ( بمفهومه العام ) بالبحر الأحمر رغم بعد الأكثرية منها عنه .

### التدخل الاجنبي في البحر الأحمر .

بحكم الخصائص التي يتسم بها البحر الأحمر كمر مائي فقد كانت عامل جذب للتنافس والتدخل الخارجي ، والممثل جزئيا في صنوف الاحتلال على مر العصور التاريخية . هذه الخصائص جعلت منه مسرحا للصراعات والتنافس الإقليمية المكثفة — منها ما هو قائم وذو خلفيات تاريخية ومنها ما هو نتاج عصرنا الراهن — .

وخواص البحر الأحمر ارتبطت في الماضي الحديث والآونة الأخيرة بالمصالح والاستراتيجيات الإقليمية والدولية المتصارعة بقصد السيطرة عليه .

فمنذ القرن التاسع عشر بدأت الدول الاستعمارية التقليدية ( بريطانيا وفرنسا وإيطاليا ) في احتلال المنطقة والتأثير على مصائرهما وإذكاء صراعاتها ، مثال : الصراع العربي — الإسرائيلي ، الصراع الصومالي — الاثيوبي ، الصراع الارتيري — الاثيوبي .. الخ .

ومنذ الخمسينات ساهم في تعدد هذه الصراعات وزاد من متضمناتها وأبعادها الخطيرة الدولتان الأعظم — إذ وسعتا الصراعات القائمة وأضافتا عليها عناصر وأبعاد جديدة . وحيث من العسير حل الصراعات الإقليمية بواسطة الأطراف المحلية أو مساعي المنظمات الإقليمية ، مثل :



الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الافريقية ، فإن الدولتان الاعظم دخلتا في غمار هذه الصراعات ( وحتى الدول الصغيرة والبعيدة ، مثل : كوبا ، تدخلت في صراعات البحر الأحمر ) .

ولقد حلت الدولتان الأعظم ، بكل الصراعات الدائرة بينهما على مستوى المصالح والآراء والايديولوجيات ، محل الدول الاستعمارية التقليدية في الخمسينيات وذلك عن طريق تقديم المعونات وعقد الاتفاقات التجارية وتقديم الخدمات السياسية والدبلوماسية وكذلك من خلال أسباب أخرى مختلفة أوجبتها مقتضيات أمن الدول الساحلية في مواجهة أخطار داخلية وخارجية — قدمت هذه الخدمات والمعونات مقابل حصول الدولتان الأعظم على مختلف المزايا والفوائد السياسية والاستراتيجية والاقتصادية — . وحيث قد أضافت هاتان الدولتان بعدا جديدا في صراعات المنطقة السياسية والعسكرية ، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ، وعن طريق تدخلاتهما المختلفة ، فقد أصبح البحر الأحمر قضية أساسية في استراتيجياتهما الإقليمية والدولية . بل ولقد أصبح البحر الأحمر نفسه عاملا مؤثرا على سياساتهما وتفاعلاتهما المتصارعة مما نتج عنها تقسيم ولاء معظم دول المنطقة وإيجاد التحالفات الموالية لهما .

### المؤسسي

ولقد عملت وتعمل الدولتان الأعظم على إذكاء نار العداء بين الدول العربية وإسرائيل وباعتا للطرفين الأسلحة مما أسهم ذلك في سباق التسلح بين العرب وإسرائيل وأضافا الطابع المؤسسي على الصراع العربي — الإسرائيلي من حيث قواه الفاعلة والقضايا التي يشملها ، وأسهمتا في تعدد قضايا هذا الصراع . فلقد نشأت عوامل سياسية واجتماعية ونفسية جديدة للصراع العربي — الإسرائيلي . هذا بالإضافة إلى العوامل التقليدية : الدينية والتاريخية والقانونية والقومية ( العرقية ) . كل هذا ساعد على تعقيد العلاقات العربية — الإسرائيلية المتصارعة ، وأدى إلى قيام عوامل هيكلية مستترة تؤثر في زيادة حدة وإطالة أمد وتوسيع نطاق الصراع العربي — الإسرائيلي وقضياه .

بالنسبة للاتحاد السوفياتي الذي طالما كان يحلم في التوغل جنوبا تجاه المياه الدافئة فقد طوّر بحريته ما له الآن وجود في المحيط الهندي ليعادل الوجود البحري الأمريكي في المناطق القريبة من مداخل البحر الأحمر والخليج . ويتمتع الاتحاد السوفياتي أيضا في التسهيلات المختلفة في موانئ اثيوبيا ( ارتيريا ) واليمن الجنوبي — وما الحلف بين اثيوبيا واليمن الجنوبي وليبيا إلا تدعيم لموقف السوفيات في منطقة البحر الأحمر .

واستمرارا لسياسة الهيمنة فقد أنشأت الولايات المتحدة قوة الانتشار السريع من أجل عملياتها العسكرية إذا ما دعت إلى ذلك مصالحها في منطقة الخليج أو غيرها من المناطق المجاورة ، مثل : البحر الأحمر . وما القواعد والتسهيلات التي حصلت عليها الولايات المتحدة في منطقة البحر الأحمر وغيره إلا لتسهيل مهمة قوة الانتشار .

وغيرها



وبعد قيام الكيان الإسرائيلي على أرض فلسطين وبالتحديد منذ ١٩٤٩ م فقد أصبح البحر الأحمر قضية مهمة في الصراع العربي - الإسرائيلي وامتد إليه هذا الصراع وأصبح مصدرا يزيد من حدة الصراع العربي - الإسرائيلي الأشمل على أرض فلسطين . إلا أنه لم تعالج قضية البحر الأحمر في السابق بشكل موسع ، ولم تعط ثقلا كافيا أو دراسة مستفيضة في أدبيات الصراع العربي - الإسرائيلي ، ولا حظي البحر الأحمر بالأهمية التي يستحقها في المؤلفات التحليلية التي عالجت الصراع العربي الإسرائيلي ، مثل القضايا الأخرى : المقاطعة الدبلوماسية والاقتصادية العربية ضد إسرائيل وقضية عرب فلسطين والأراضي العربية المحتلة ونهر الأردن .. الخ - هذا رغم تأثير البحر الأحمر وكونه مصدرا مهما للصراع العربي الإسرائيلي المحتمل وبعدها يرقى إلى المستوى الثاني للصراع العربي الإسرائيلي الأشمل .

عندما امتد الصراع العربي - الإسرائيلي الأشمل في فلسطين إلى البحر الأحمر ( ١٩٤٩ م ) اتسع نطاقه وحدته مع الوقت وأصبح البحر الأحمر قضية مهمة في غمار صراع الدول العربية البحر الأحمرية وإسرائيل . وإذ يسعى كل من الطرفين إلى تحقيق أهداف استراتيجية وأمنية متعارضة في البحر الأحمر فإنه من المحتمل ، وتحت ظل ظروف معينة ، أن ينشب من جديد صراع مسلح بين الطرفين في المستقبل .

الغرض من هذه الورقة هو تبيان دور البحر الأحمر كقضية تسهم في تصاعد وتفاعل الصراع العربي - الإسرائيلي ومتضمناته المستقبلية . وبالفعل فلقد كانت قناة السويس وشرم الشيخ وخليج العقبة ومضايق تيران وباب المندب عوامل ساهمت بشكل مباشر وغير مباشر في نشوب حروب عربية - إسرائيلية سابقة .

### البحر الأحمر والصراع العربي - الإسرائيلي :

كان الصراع العربي - الصهيوني قبل ١٩٤٨ يدور حول السيطرة على أرض فلسطين ، وبعد إقامة الكيان الإسرائيلي في العام نفسه شمل الصراع قضايا متعددة منها ، بشكل خاص ، البحر الأحمر . ولأن هذه القضايا هي في حد ذاتها قضايا هيكلية فإنها ستظل مصدرا رئيسيا لتوسيع نطاق الصراع العربي - الإسرائيلي وامتداده ما لم تطرأ تغيرات تؤثر على السلوك العربي - الإسرائيلي العام .

ولقد لعبت بالفعل أجزاء من البحر الأحمر دورا بارزا في حروب ١٩٥٦ - ١٩٦٧ م - ١٩٧٣ م بين العرب وإسرائيل مع أن البحر الأحمر ككل لا يزال يمثل مصدرا لمزيد من

مصدرا



الصراعات . وتسلسل الأحداث على ساحة البحر الأحمر بين العرب وإسرائيل يكشف القناع عن دور البحر الأحمر في صراع العرب وإسرائيل عليه .

في ٢٤ فبراير ١٩٤٩ م خرقت إسرائيل الهدنة الموقعة بينها وبين مصر بأن تقدمت نحو خليج العقبة واحتلت بطرق غير مشروعة مزيدا من الأراضي العربية في النقب والجليل والميناء العربي الأردني المسمى بأم الرشراش ، وأطلقت إسرائيل على هذا الميناء اسم ايلات في ٢٥ يونيو ١٩٤٩ م . وأم الرشراش ( ايلات حاليا ) تحتوي على قاعدة بحرية تهدد عن طريقها إسرائيل باحتلال الموانئ العربية ( السعودية والأردنية والمصرية ) متى ما رأت ذلك في مصلحتها .

وكان احتلال إسرائيل لأم الرشراش قبل توقيع إسرائيل اتفاق الهدنة مع الأردن في ابريل ١٩٤٩ م . وكرد فعل لاحتلال إسرائيل لأم الرشراش ولتضييق الخناق على إسرائيل في مضائق تيران وخليج العقبة ، فقد تخلت مؤقتا المملكة العربية السعودية لمصر وحسب طلبها على جزيرتي تيران وصنافير السعوديتين في فبراير ١٩٥٠ م . بعدئذ فرضت مصر قيودها على حركة السفن الإسرائيلية ، إلا أن إسرائيل قامت بفتح خليج العقبة أمام ملاحتها في حرب ١٩٥٦ م و ١٩٦٧ م فقد هاجمت قوات إسرائيل وبريطانيا وفرنسا مصر في اكتوبر ١٩٥٦ م (حرب السويس) وتلا ذلك إغراق مصر للسفن في قناة السويس وإغلاق مضيق تيران (عند شرم الشيخ) حيث كانت عندئذ مصر تتمتع بوجود عسكري في جزيرتي تيران وصنافير (١) .

ولقد تحدثت عندئذ وزيرة خارجية إسرائيل غولدا مائير في أول مارس ١٩٥٧ م في الجمعية العامة للأمم المتحدة واعتبرت أن من حق إسرائيل استخدام القوة لفك أي حصار من شأنه أن يقيد ملاحتها في خليج العقبة ومضائق تيران .

ولقد أغلقت مصر ثانية خليج العقبة أمام الملاحاة الإسرائيلية في ٢٢ مايو ١٩٦٧ م مما أدى إلى هجوم إسرائيل في يونيه ١٩٦٧ م واحتلالها كامل سيناء بما فيها الضفة الشرقية للقناة ومضائق تيران — أدى هذا الاحتلال إلى وقف الملاحاة في قناة السويس حتى عام ١٩٧٥ م . ولقد اعتبرت إسرائيل إغلاق مضائق تيران أمام ملاحتها من قبل مصر عمل من أعمال الحرب .

في منطقة باب المندب هاجم الفلسطينيون في ١١ يونيو ١٩٧١ م ناقلة نفط متجهة إلى ايلات مما وجه جهود إسرائيل تجاه المدخل الجنوبي للبحر الأحمر .

وفي حرب رمضان / أكتوبر ١٩٧٣ م فرض حصار عربي ضد إسرائيل عند باب المندب وبعيدا هذه المرة عن خليج العقبة ومضائق تيران في الشمال .



وبمقتضى المعاهدة الموقعة بين مصر وإسرائيل في ٢٦ مارس ١٩٧٩ م أصبح إغلاق مصر لخليج العقبة ومضائق تيران وقناة السويس ضد الملاحة الإسرائيلية عملاً غير مشروع إذ نصت المعاهدة المذكورة بحق إسرائيل في الملاحة عبرها — لكن تبقى المملكة العربية السعودية والأردن ، وهما مطلتان على خليج العقبة ، غير ملزمتين بنصوص الاتفاقية . وحتى في حالة اندلاع حرب أو حدوث متغيرات ما فقد تكون مصر غير ملتزمة بمضمون الاتفاقية . وبالفعل فلقد ساءت علاقات مصر مع إسرائيل بعد احتلال الأخيرة لبيروت في ١٩٨٢ م وبعد رفض إسرائيل تسوية مشكلة طابا الحدودية على خليج العقبة ، وقد أثر ذلك على العلاقات بين البلدين .

عام ١٩٧٧ م شهد تأكيد الأطراف المختلفة لاستراتيجياتها في البحر الأحمر — سواء منها الدول العربية أو إسرائيل أو أثيوبيا أو الدولتان الأعظم — وشهد أيضاً تغير التحالفات والمعادلات السياسية .

وشعورا من دول عربية ببحر أحمرية لتزايد أهمية السيطرة على الملاحة في المنطقة منذ بداية عام ١٩٧٧ م ، وفي مقدمة هذه الدول المملكة العربية السعودية ومصر والسودان ، فلقد طرحت قضية السيطرة على البحر الأحمر وباركت ذلك جامعة الدول العربية . وبعد هذا الطرح جزئياً كرد فعل للاتحاد الفدرالي الذي طرحه في مارس ١٩٧٧ م الرئيس الكوي (كاسترو) المدعوم من قبل السوفييات ليضم أثيوبيا والصومال وجمهورية اليمن الديمقراطية وجيبوتي — ويهدف الاتحاد إلى أمور منها تحقيق السيطرة الكاملة على مضيق باب المندب والبحر الأحمر . لذلك وفي نفس العام عقدت قمة عربية في تعز لرؤساء اليمن الشمالي واليمن الجنوبي والصومال والسودان حيث ناقشوا موضوع أمن البحر الأحمر وإمكانيات التعاون بين دولهم في هذه القضية . ولتغير المعادلات المختلفة في العام نفسه في المنطقة فقد أصبح العرب يواجهون الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية وأثيوبيا بالإضافة إلى إسرائيل وقوى أخرى معارضة للطرح العربي في البحر الأحمر .

ويهم إسرائيل قضية من يسيطر على البحر الأحمر، وخاصة منذ أن بدأت ملاحتها فيه عام ١٩٥٦ م حيث حطمت عزلتها مع افريقيا وجنوب شرق آسيا . والعلاقات الاقتصادية والسياسية لإسرائيل مع الدول الافريقية والآسيوية مهمة لوضع إسرائيل وخططها التنموية في المستقبل . ولقد زاد من قلق إسرائيل على ملاحتها في البحر الأحمر التطورات الآتية من بين أخرى كثيرة : استقلال اليمن الجنوبي عام ١٩٦٧ م . وحادثة ناقلة النفط عام ١٩٧١ م ، والحصار العربي للملاحة الإسرائيلية في البحر الأحمر بما في ذلك حصار ١٩٧٣ م في باب المندب ، واستقلال جيبوتي عام ١٩٧٧ م . ولقد حرصت إسرائيل أن يكون من بين شروط اتفاق فصل القوات بينها وبين مصر .

الموقع في ١٨ يناير ١٩٧٤ م إلغاء مصر لحصارها المفروض على الملاحة الإسرائيلية في حرب ١٩٧٣ م في مضيق باب المندب .

ومع أن حقوق الملاحة في قناة السويس ومضائق تيران وخليج العقبة قد أعيدت إلى إسرائيل بموجب معاهدة ١٩٧٩ م ، إلا أن قضية الملاحة خلال باب المندب قد تشعل شرارة الحرب المسلحة بين إسرائيل ودول عربية في المستقبل . وإذا أوقفت الملاحة الإسرائيلية في باب المندب فستقل أهمية حرية ملاحة إسرائيل في مضائق تيران وخليج العقبة . ذلك لأن حرية الملاحة الإسرائيلية خلال باب المندب ترتبط بالإطار الشامل للصراع العربي الإسرائيلي . وحتى في حالة تسوية للمشكلة الفلسطينية فلا ضمان لإسرائيل بحرية الملاحة خلال باب المندب .

### الأمن العربي والأمن الإسرائيلي في البحر الأحمر :

يرتبط الأمن العربي بالمشكلة الفلسطينية بكل قضاياها وأبعادها ومرور النفط عبر البحر الأحمر . واستقلال ارتيريا والصراع الأمريكي - السوفياتي وتغلغلها في المنطقة . فالعرب مند القدم كانوا يتاجرون عن طريق البحر الأحمر الذي بالتالي يؤثر عليهم في ساحل الجزيرة الغربي وساحل افريقيا الشرقي . ولقد زاد الاهتمام العربي في البحر الأحمر كشریان حيوي في الآونة الأخيرة باعتباره بحرا عربيا (بحيرة عربية) . ومرور النفط العربي بشكل خاص خلال البحر الأحمر يؤثر على مختلف قضايا الأمن العربي في البحر الأحمر . وهدف الاستراتيجية العربية هو تعريب وتحييد البحر الأحمر ، وذلك بناء على وحدة الحضارة العربية عليه والاستمرارية التاريخية باعتبار البحر الأحمر جزءا من الوطن العربي ووحدة أراضيه فيما عدا فلسطين المحتلة وارتيريا غير المستقلة - وإسرائيل وأثيوبيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يعارضون هذا التعريب الذي يعني نفي سيطرة وتأثير أي طرف منهما على البحر الأحمر . وبالطبع فإن تعريب البحر الأحمر يحتاج إلى بناء قوة عربية موحدة وفعالة وقادرة على حفظ أمنه وحياده وفرض نفسها فيه لكون البحر الأحمر ماضيا وحاضرا ومستقبلا بحيرة عربية . والدول العربية مع ذلك هي الطرف التي يمكنها السيطرة عليه وتحويله إلى بحيرة عربية . وفي غياب دور عربي فعال فإن العلاقات والصراعات الحساسة كما هي في البحر الأحمر هي التي ستحدد مستقبل الدول الساحلية العربية وأمنها من عدمه ومدى أمن إسرائيل واقتصاديات الغرب والميزان التجاري بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي .

الأمن العربي في البحر الأحمر يتطلب أن تلعب الدول العربية دورا فعالا ورئيسيا لحماية مصالحها الحيوية فيه في إطار التعاون والتنسيق ونبد الخلافات الجانبية والتأكيد على استراتيجية عربية موحدة للبحر الأحمر لتحييده وتعريبه ومنع المواجهة الأمريكية - السوفياتية عليه . في غياب جهد



عربي موحد تجاه قضية البحر الأحمر فإن المؤشرات والتطورات الدولية في الماضي الحديث تقود إلى الاعتقاد بأن المنطقة مقبلة على صراعات عنيفة .

أمن البحر الأحمر مهم للأمن العربي . فلقد اتجهت بعض الدول العربية منذ الثمانينات إلى التنمية على سواحلها . فلقد أقامت المملكة العربية السعودية خط أنابيب لنقل نفطها من مصادره في المنطقة الشرقية على الخليج إلى ينبع على البحر الأحمر . ولقد قصد أساسا من هذا الخط أن لا تبقى المملكة تحت رحمة مضيقي هرمز وباب المندب ( وهناك مشروع خط نفط عراقي موازي للخط السعودي هذا ) هذا بالإضافة إلى صناعة البتروكيماويات وغيرها المقامة في ينبع . والمملكة مع السودان داخلتان في عملية استثمار المنطقة المشتركة بينهما في البحر الأحمر . هذه المشاريع التنموية وغيرها من برامج المستقبل على سواحل البحر الأحمر ستكون مهددة بدون استقرار بالمنطقة يفرضه وجود عربي قوي . والخطر المباشر والأكثر احتمالا على مشاريع التنمية والصناعة سيكون قادما من إسرائيل ، التي تطمح بالسيطرة والتوسع على حساب الأمن والاستراتيجية العربيين . فإسرائيل تطمح بأن تكون المستفيدة من كل نشاط تنموي على السواحل البحر الأحمرية وهي لذلك ستعمل ما بوسعها لتبتز وتؤثر على ما يجري في المنطقة وذلك تبعا لأمنها وإستراتيجيتها .

وحيث أن للمملكة العربية السعودية سواحل على الخليج والبحر الأحمر ويوجد بها الأماكن المقدسة الإسلامية قرب ساحل البحر الأحمر ( مكة والمدينة ) ولأهمية المملكة السياسية والاقتصادية ولتقديمها المساعدات ، مع شقيقاتها الدول الخليجية ، لدول البحر الأحمر العربية ، فإن الدور السعودي في منطقة البحر الأحمر ( وكذلك الخليج ) حاسم ومهم جدا ، سواء على المستوى الإقليمي أو الدولي . معنى هذا أن لها الريادة في أمن منطقتي الخليج والبحر الأحمر — وأمن المنطقتين مرتبط ببعض .

الخلاصة هي أن الأمن العربي مقابل الأمن الإسرائيلي في البحر الأحمر يتطلب من بين أمور كثيرة تضامنا وتنسيقا عربيين في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية . والتقارب في العلاقات بين مصر والدول العربية الأخرى في شتى المجالات سيؤثر بلا شك على دول البحر الأحمر والدول البعيدة المستفيدة منه . وأي جهود تكاملية ( مثل ما كان بين مصر والسودان ) سيزيد من القدرات العربية في البحر الأحمر .

أما بالنسبة للأمن الإسرائيلي في البحر الأحمر فهو يرتبط بحرية ملاحتها فيه بالدرجة الأولى ومن ثم الأمن العسكري وإبطال تحويله إلى بحيرة عربية ومنع السيطرة العربية عليه ، وتوسع إسرائيل فيه . فالبحر الأحمر لإسرائيل يعتبر هو المخرج الرئيسي لها إلى آسيا وأفريقيا . لذلك فحرية الملاحة

الإسرائيلية في البحر الأحمر تعتبر أمراً أساسياً في تفكيرها الاستراتيجي منذ نشأة كيانها المرفوض على أرض فلسطين . ويشهد على ذلك تصريحات وأفعال وكتابات رسميين وغير رسميين إسرائيليين ( ٢ ) . وحتى قبل ولادة إسرائيل بالخطأ حاول حاييم وايزمان إقناع الرئيس الأمريكي عندئذ ، ترومان ، ليقبل بأن تشمل الدولة اليهودية عند التقسيم النقب وخليج العقبة لأنه اعتبر عندئذ أن الملاحة الإسرائيلية ستكون غير مضمونة في قناة السويس ( ٣ ) .

ولأهمية حرية الملاحة لأمن إسرائيل في البحر الأحمر فقد دخلت في حربي ١٩٥٦ م و ١٩٦٧ م مع العرب من أجل ذلك . ويمكن النظر لأهمية البحر الأحمر لمصالح إسرائيل حاضراً ومستقبلاً من خلال الآتي :

١ — تعتبر إسرائيل البحر الأحمر خطاً نفطياً وأنشأت خط أنابيب من إيلات على البحر الأحمر إلى البحر الأبيض المتوسط ( سابقاً كانت تستقدم إسرائيل لصناعتها النفط من إيران على وقت الشاه ) .

٢ — تعتبر حرية الملاحة الإسرائيلية في البحر الأحمر ضرورية لتجارتها مع دول إفريقيا وشرق آسيا . وكدولة صناعية فإن إسرائيل تسعى لتنمية نفسها بما في ذلك تنمية صحراء النقب . وسيطرة العرب على البحر الأحمر يعني من منظور « جيوبوليتيكي » إسرائيل ، الضرر في إيلات والنقب وهما الجزء الجنوبي الملاصق للبحر الأحمر ، ويهدد إسرائيل عسكرياً — فصحاء النقب وميناء إيلات وخليج العقبة في هذا الإطار تعتبر كلا واحداً . أن حرية الملاحة من وإلى إيلات تعتبر بنظر إسرائيل أمراً جوهرياً كهدف سياسي دولي وكهدف للتنمية الاقتصادية وكهدف لأمنها الاستراتيجي وكرمز عقائدي لسيادتها .

٣ — لذا فإن إسرائيل تعارض بل وترفض الاستراتيجية العربية والقاضية بتحويل البحر الأحمر إلى بحيرة عربية ، ولكي تعيق ذلك فهي تقوم بجهود شتى ومن ذلك تأييدها لاثيوبيا ضد ارتيريا وتأييدها لحركة انفصال جنوب السودان وذلك عن طريق مختلف المساعدات العسكرية ، خصوصاً والاثيوبيون متحدون مع إسرائيل في معارضة ورفض تعريب البحر الأحمر .

٤ — تعتبر إسرائيل البحر الأحمر مصدراً اقتصادياً في المستقبل لتوفر الثروات الحية وغير الحية فيه . وخلاصة القول فإن لإسرائيل مصالح وأهدافاً سياسية واقتصادية وعسكرية مترابطة تشكل الحجر الأساسي لاستراتيجية أمنها في البحر الأحمر .

وتكمن خطورة إسرائيل على الأمن العربي بشكل عام وفي البحر الأحمر بشكل خاص في تطور قوتها العسكرية كما ونوعاً . فالقوة العسكرية لإسرائيل أثبتت كونها العمود



X  
الفقري لحياتها منذ نشأتها . فقد احتلت الأراضي العربية وشردت أبناءها عن طريق قواتها العسكرية . ولقد استعملت إسرائيل قواتها العسكرية مؤخرا في غزوها للبنان وهجومها على منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٨٢ م . وإسرائيل تملك اليوم القوة النووية / الاستراتيجية حيث تجعلها هذا القوة في المنطقة والوحيدة التي تهدد وتردع . وثبت ذلك فعليا عن طريق شنها الغارة الوقائية التي حطمت من خلالها المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١ م .

وإسرائيل تطمع في التوسع والهيمنة في البحر الأحمر على حساب الدول العربية . وأول مهمة لها في البحر الأحمر هو في ردع أي حصار عربي لمضائق البحر الأحمر ضدها — من هنا تأتي مقاومتها لفكرة تحويل البحر الأحمر تحت السيطرة العربية .

والحقيقة أنه يتعذر استقرار منطقة البحر الأحمر مع وجود طموحات إسرائيل وإيران في التوسع والاحتلال في منطقة البحر الأحمر والخليج ما لم يتم التوصل إلى حل شامل للصراعات العربية — الإسرائيلية والعربية — الإيرانية . وما الألغام التي تفجرت على طول البحر الأحمر في صيف عام ١٩٨٤ م إلا مؤشر لما يمكن أن يحصل للبحر في المستقبل في ظل غياب سيطرة عربية محكمة عليه وامتداد الصراعات المختلفة إليه ( ٤ ) .

## الختام :

لقد أشير في الصفحات السابقة إلى المزايا والخصائص التي يتسم بها البحر الأحمر وذلك أساسا بسبب موقعه « الجيوبوليتيكي » ، وتم الربط بين هذه المزايا والخصائص وبين تدخل القوى المختلفة على مر العصور في شئونه . وفي السنوات القليلة الماضية برزت قوى إقليمية ودولية من خلال جهودها الاستراتيجية الواسعة والمتعارضة للتأثير على منطقة البحر الأحمر وفي مقدمتها الدولتان الأعظم والدول العربية وإسرائيل .

لقد حدث ذلك وبشكل مؤثر خاصة بعد تغير موازين القوى الإقليمية والدولية في المنطقة منذ ١٩٧٦ — ١٩٧٧ م وذلك بعد تحول النظام الثوري الاثيوبي إلى الشيوعية وطرده السوفييات من السودان والصومال ، الأمر الذي أحدث تغيرا في أنماط التحالفات السياسية والعسكرية في المنطقة واستقطب القوى الموجودة فيها .

وفي هذا الإطار فقد أخذ الصراع والتنافس الاستراتيجي الأمني بين العرب وإسرائيل أشده وخاصة بالتدريج منذ نشأة الكيان الإسرائيلي في فلسطين المحتلة . وفي غمار هذا الصراع والتنافس على البحر الأحمر ، أمتدت جهود وسياسات الطرفين لتحقيق أهدافهما المتضادة إلى القرن الأفريقي وارتيريا وباب المندب وخليج عدن والمحيط الهندي .. الخ ، خاصة منذ ١٩٧٣ م ، وأصبحت هذه المناطق عوامل مهمة ومؤثرة في نشاط العرب والإسرائيليين .

النشاط العربي الاستراتيجي الأمني يرمي إلى تقييد حرية الملاحة الإسرائيلية في البحر الأحمر واحتواء وجود إسرائيل هناك ( وكذلك أبعاد نفوذ وصراع الدولتين الأعظم عنه ليكون منطقة سلام ) . وهذا ضرورة يملها الأمن الاستراتيجي العربي .

وفي المقابل تهدف إسرائيل إلى تقليل النفوذ والسيطرة العربيين على البحر الأحمر من خلال تثبيت وتقوية مركزها الاستراتيجي ونفوذها ووجودها في البحر الأحمر لمنع تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة عربية لأن ذلك يشكل خطرا على أمنها .

ونتيجة لأهمية البحر الأحمر لأمن الطرفين — العربي والإسرائيلي — فقد أصبح قضية ثانوية تلي الصراع العربي — الإسرائيلي في إطاره الشامل والأوسع على فلسطين ، وأصبح منذ ١٩٤٩ م وبالتدريج جزءا من المجال الجغرافي الاستراتيجي الأساسي لهذا الصراع ، بل وأصبح بالإضافة إلى ذلك الجهة الأمامية والامتداد الجنوبي لهذا الصراع الذي يتأثر به ويؤثر عليه كما حصل في حربي ١٩٥٦ ، و ١٩٦٧ م .

والخلاصة هي أن البحر الأحمر قد لعب دورا خطيرا في تفاعل الصراع العربي — الإسرائيلي في السابق ويحتمل ، في ظل المؤشرات المختلفة ، بأنه سيلعب دورا أخطر في المستقبل .



- ١ - أكد ( موشي دايان ) وزير دفاع إسرائيل السابق في كتاب مذكراته الصادر عام ١٩٦٧ م بأن واحد من الأسباب الرئيسية لهجوم إسرائيل مع فرنسا وبريطانيا على مصر عام ١٩٥٦ م هو التوصل إلى حرية مرور السفن الإسرائيلية في خليج العقبة .
  - ٢ - لقد اغتالت عصابة ( شتيرن ) الصهيونية وسيط الأمم المتحدة ( الكونت فولك برنادوت ) في ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ م لأنه حاول إستبعاد النقب من الدولة اليهودية الناتجة عن تقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية ، وفي مناسبات خطابية ركز كل من ( ديفيد بن غوريون ) رئيس وزراء إسرائيل السابق وكذلك ( موشي دايان ) بأن يتجه الإسرائيليون تجاه الجنوب — إلى النقب وإيلات باتجاه خليج العقبة والبحر الأحمر . وفي كتاب مذكراته قال ( بن غوريون ) عن إيلات ، بأنها تمثل « موت وحية إسرائيل » . وقبل التقسيم ، حسب قول ( بن غوريون ) بمذكراته ، تمسك بأن تشمل الدولة اليهودية منطقة النقب .
  - ٣ - لقد أكد الرئيس الأمريكي السابق ( ترومان ) في كتاب مذكراته محاولات إقناع ( حاييم وايزمان ) له عند زيارته واشنطن في ١٨ مارس ١٩٤٧ م بالعمل على ضم صحراء النقب للدولة اليهودية ، وأشار ( ترومان ) إلى أنه لم يلاقِ بحياته من الضغوط مثلما فعله الصهاينة على البيت الأبيض بهذا الخصوص .
  - ٤ - اختلفت المصادر المتعددة عن من قام بوضع الألغام في البحر الأحمر وخاصة في منطقة خليج السويس الذي وقعت فيه عدة انفجارات خلال الفترة من يوليو / تموز إلى سبتمبر / أيلول ١٩٨٤ م ، وترتب على هذا الاختلاف أن اختلفت الآراء عن الأهداف من وراء ذلك . فلقد اتهمت ليبيا وإيران وإسرائيل واتهمت أيضا بعض الجهات الغربية بوضع الألغام . ومنظمة الجهاد الإسلامي أعلنت مسؤوليتها عن هذه الانفجارات . ولعل القاري يستنتج بنفسه عن ملابسات وتشعبات الموضوع بعد إيراد الآراء التالية من آراء كثيرة كأمثلة حول أهداف الألغام بالبحر الأحمر .
- لقد اشارت د. بدرية العوضي في جريدة السياسة الصادرة في يوم الثلاثاء ٢/١٠/٨٤ م ( ص ١٧ ) إلى الدوافع التالية من وراء تلغيم البحر الأحمر وخليج السويس :
- ١ - منع عرقلة مشروع تصدير نפט دول الخليج العربية بما فيها العراق عن طريق خليج العقبة والبحر الأحمر بواسطة خطوط أنابيب بعد أن أصبح مضيق هرمز غير مأمون بسبب التهديدات الإيرانية بإغلاقه بوجه الملاحة الدولية .
  - ٢ - تهديد مصالح المملكة العربية السعودية وذلك بتهديد أمن الملاحة البحرية في البحر الأحمر نتيجة لتأييدها للعراق في حربها الدائرة مع إيران .
  - ٣ - فرض السيطرة والوجود الدائمين للولايات المتحدة الأمريكية على البحر الأحمر وجزره .
- ويأتي متلائما مع ذلك جزئيا ما صرح به د. فايز بدر ، رئيس المؤسسة العامة للموانئ بالمملكة ، في عدد مجلة الإمامة ٨٤٤ الصادر في ١٥/٦/١٤٠٥ هـ الموافق ٦/٣/٨٥ م ص ٦ — ٧ حيث قال : قامت بتفجير الألغام جهات معينة ولأهداف سياسية القصد منها افعال هذه الحوادث لإثبات أن الدول المطلة على البحر الأحمر غير قادرة على مواجهة مثل هذه الحوادث وأن ذعرا سيجتاح المنطقة وتضطرب لذلك الملاحة فيها وتتاثر اقتصاديات الدول المطلة على البحر الأحمر . والهدف الثاني هو استغلال تلك الجهات المعنية فرصة إشاعة أخبار الانفجارات والخاوف منها في مختلف أنواع الإعلام بحثا عن مكاسب ذاتية لها ، فمثلا : أرادت بعض الشركات

والمؤسسات الحكومية وشبه الحكومية في الغرب أن تباع كاسحات الألغام القديمة لديها مستغلة فرصة الذعر التي يتصورونها من الألغام لعل هناك من بين دول البحر الأحمر من يشتريها — إلا أنه لم يحصل ذلك . والهدف الثالث هو : لما كان يعانيه النقل البحري من مشاكل كبيرة منذ سنتين بسبب عدم وجود عمل كاف لتشغيل سفن البضائع والناقلات فقد رأت الشركات المالكة لهذه السفن مصلحة في افتعال مثل هذه الانفجارات لدرجة أن بعض الشركات وضعت المتفجرات داخل سفنها وبأيديها لتفجر ومن ثم تطالب شركات التأمين بالتعويض — وكانت شركات السفن تعلق آمالا كبيرا على حالة الذعر التي ستسود منطقة البحر الأحمر في ذلك الوقت .

وخلافا لما قيل أعلاه فقد ذكر / محمد السماك في مجلة الاسبوع العربي الصادرة يوم ١٩٨٤/١١/٥ م ص ٢٥ التالي : عندما وضعت مصر خطة « غرانيث رقم واحد » عام ١٩٧٠ م بقصد عبور قناة السويس وتخطيط خط بارليف وتحرير سيناء من الاحتلال الإسرائيلي ، وبعد استشارة السوفييات ، فقد لغمت مصر أعماق خليج السويس بمئات الألغام وسدت مداخل القناة الجنوبية وذلك لمنع الغواصات الإسرائيلية من الدخول باتجاه قناة السويس ومن ثم تقفل إسرائيل طرق الملاحة أمام السفن المصرية .

وبعد التطورات الأخيرة في الخليج بأبعادها الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، وخصوصا مشاريع خطوط أنابيب النفط الجديدة التي أملتتها الحرب العراقية — الإيرانية وإنفاق المليارات من الدولارات على إنشائها ، زادت أهمية قناة السويس كممر للسفن الحربية بما فيها الغواصات ، من هنا برزت خطورة ألغام العمق المتبقية من خطة « غرانيث رقم واحد » . في خليج السويس والتي لم تنظف خلال عملية تنظيف قناة وخليج السويس من الألغام والعوائق بعد حرب ١٩٧٣ م والتسوية المصرية — الإسرائيلية التي تلتها .

ولأن للولايات المتحدة الأمريكية اتفاقات تعاون عسكري مع كل من مصر والسودان والصومال ، ولأن للاتحاد السوفياتي اتفاقات مماثلة مع كل من اثيوبيا واليمن الجنوبي ، ولأن لفرنسا اتفاق تعاون مع جيبوتي احتفظت بمقتضاه بقوة عسكرية بحرية — جوية دائمة هناك ، فقد رأت هذه الدول أن استمرار بقاء الألغام في عمق خليج السويس يشكل خطرا على الملاحة العسكرية الدولية في المنطقة — ومن هنا رأت هذه الدول أهمية تنظيفها . وعملية نثر الألغام العائمة في خليج السويس والبحر الأحمر تعتبر مدخلا للقيام بعملية التنظيف العسكرية التي اشتركت فيها الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا ، وكان لا بد لذلك من ( ١٧ ) انفجارا سطحيا لتبرير عملية مسح الأعماق .

الآراء السالفة تمثل نماذج عن أهداف تفجير الألغام بالبحر الأحمر وإن كان هناك من يقول أن الولايات المتحدة وإسرائيل قامت بعملية تفجير الألغام رغبة في أن تقنع الولايات المتحدة مصر بالسماح لها بإقامة قاعدة عسكرية على ساحلها البحر الأحمر لتحقيق أهدافها هناك وكذلك الأهداف الإسرائيلية . وهناك من يرى أنها خطة لدول غربية بقصد تحقيق مصالحها ووجودها في منطقة البحر الأحمر .

ويذكر أن إسرائيل قامت بحملة إعلامية ترغب من وراءها « تدويل البحر الأحمر » بهدف اشتراكها مع الدول المشتركة ، بما فيهم العرب ، للبحث عن وسائل تحفظ أمن البحر الأحمر لاشتراك إسرائيل فيه عن طريق مينائها ايلات .

على أثر انفجار الألغام في البحر الأحمر دعا الرئيس السوداني السابق ، جعفر نميري ، إلى عقد مؤتمر بالخرطوم من قبل الدول العربية البحر الأحمرية وذلك في ١٦ سبتمبر ١٩٨٥ م ولكن تأجل عقده إلى أجل غير مسمى ( آخر خبر عن الألغام وحتى كتابة هذه السطور هو انفجار لغم أصاب وإغرق سفينة شحن بنامية ( مارينر ) مساء الثلاثاء الموافق ١٤٠٥/٨/٣ هـ ( ١٩٨٥/٤/٢٣ م ) في مكان يبعد ( ٧٠ كم ) من الشواطئ المصرية الجنوبية .



## المصادر

- ١ — عبد الله عبد المحسن السلطان . البحر الأحمر والصراع العربي — الإسرائيلي : التافس بين استراتيجيتين .  
بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى ، آب / اغسطس ١٩٨٤ م .
- 2 - Farid, Abdel Majid, ed, The Red Sea : Prospects for Stability, London: Croom Helm, 1984